

كلنا يعلم أن الصلة بين العقل والنقل بين الفلسفة والدين شملت الفلاسفة المحدثين كما كانت حجر الزاوية في فلسفة القرون الوسطى . وقد وقف اسبينوزا على هذا الموضوع كتاباً مستقلاً غير معروف من جمهور القراء ، لأن نفوذ كتابه الآخر المشهور « الأخلاق » غطى عليه ، ونفى به « رسالته الدينية السياسية » التي تتم في رأينا مذهبه الفلسفي . ذلك لأنه إذا كان « كتاب الأخلاق » يوضح الحقائق العقلية ، فإن هذه « الرسالة » تشرح الحقائق النقلية . وهذان الضربان من الحقائق متميزان عند اسبينوزا ومستقلان تمام الاستقلال ويقابلان علمين منفصلين : الحقيقة العقلية موضوع الفلسفة ، والحقيقة النقلية موضوع علم الأسميات ؛ واسبينوزا فيلسوف وعالم في الأسميات في آن واحد ، فلا يستطيع أن يبنى إحدى هاتين الحقيقةين ولا أن يدمجها في الأخرى ، بل يقرر أن كل واحدة منهما ضرورية ومطلقة النفوذ في مضارها ؛ والدين إن لم يكن الحقيقة كلها حقيقي في ذاته ولا غنى للجسمية عنه^(١) . غير أن الحقيقة الدينية تتمتع رأساً على الوحي والالهام ، فكيف يتم هذا الوحي وبأنه وسيلة يستطيع الأنبياء الوصول إليه ؟ هذا هو السؤال الذي حاول اسبينوزا أن يجيب عليه . وفي رأيه أنا إذا تتبعنا الكتب المقدسة جميعها وجدنا أن الالهامات النبوية المختلفة سواء أكانت عبارات صريحة أم صوراً رمزية إنما تم بواسطة تخيلة قوية^(٢) . وعلى هذا لا تتطلب النبوة شرطاً آخر سوى أن يكون الأنبياء ذوي خيالة نشيطة متنبهة^(٣)

لا يمكننا أن نمر بهذه الآراء دون أن نفكر على الفور في الفارابي وفي الدراسات الفلسفية اليهودية في القرون الوسطى . حقا إن المعرفة الناتجة عن الوحي والالهام لا تساوي في نظر اسبينوزا المعرفة العقلية ، مع أنهما عند الفارابي متساويتان متكافئتان ؛ ولعل هذا راجع إلى أن اسبينوزا فيلسوف قبل أن يكون لاهوتياً ، وديكارتي قبل أن يكون فارابياً ؛ ولا شك في أن الأفكار الواضحة النيرة هي وحدها عند ديكرت سبيل المعرفة

نظرية النبوة عند الفارابي

للدكتور ابراهيم يومي مذكور

مدرس الفلسفة بكلية الآداب

— ٨ —

انتهى بنا الحديث في المقال السابق الى بيان أثر نظرية النبوة الفارابية في القرون الوسطى . ويظهر أنها لم تقف عند هذا الحد بل جاوزته الى التاريخ الحديث . وزرى واجباً علينا لأنعام هذا البحث أن نشير الى بعض المفكرين المحدثين في الغرب والشرق الذين حاولوا تفسير النبوة تفسيراً يمت بصلة الى النظرية الفارابية ؛ ولن نتحدث من بين فلاسفة الغرب إلا عن اسبينوزا الذي أشرنا في بحث سابق الى أنه يلتقي مع الفارابي في نقط كثيرة^(١) . وأما مفكرو الشرق ومصلحوه فنسذكر من بينهم شخصيتين جليلتين كانت لهما اليد الطولى في نهضة الأمم الاسلامية الأخيرة وتقدمها العلمي والأدبي ، وهما السيد جمال الدين الأفغاني والأستاذ الامام . ولا نظن أحداً الى الآن حاول أن يربط آراء هذين المصلحين ربطاً وثيقاً بنظريات علماء الاسلام الأول ومفكره ، اللهم إلا محاولات ضئيلة ترمي الى إيجاد علاقة بينهما ، أو بين الأستاذ الامام بوجه خاص من جانب وابن قيم الجوزية وابن تيمية والفزالي من جانب آخر^(٢) . وإذا صح أن آراءها الدينية قد ربطت بأقوال بعض أئمة السلف فأبحاثهما العقلية لا تزال حتى الساعة غير واضحة الصلة بنظريات فلاسفة الاسلام . وخطأ أن يظن أن هذه الصلة مقطوعة أو ممدومة ، فإن السيد والامام إنما تم تكوينهما أولاً وبالذات على حساب المصادر العربية ؛ وفي مجلة العروة الوثقى ما يشهد بأنهما كانا يدعوان الى دراسة فلاسفة الاسلام وتفهم أفكارهم^(٣) . وسنرى بمد قليل كيف يلتقيان في مشكلة من أهم المشاكل الاسلامية

(١) Brochard, Etnds, 336 — 337

(٢) Spinoza, Traité théologico. politique, p. 18

(٣) Ibid., p. 24

(١) مذكور ، الرسالة ، عدد ١٧٢ ، ص ١٦٦٨

(٢) I. Scgach, Muhmed Abdo, dans Enqye de. Islam

(٣) العروة الوثقى ، المغة الرابعة

فيه ، ولهذا تحدث عن فائدة الفنون . وفي خلال هذا الحديث شبه الجمعية بجسم مرتبطب الأجزاء والأعضاء ، ولكل عضو من أعضائه خاصة . ثم انتقل من هذا إلى أنه لا حياة للجسم إلا بالروح ، وروح هذا الجسم هي النبوة أو الحكمة . فالنبي والحكيم من الجمعية الانسانية بمنزلة الروح من البدن . وكل ما بينهما من فارق : هو أن النبوة منحة إلهية لا تنالها يد الكاسب يختص الله بها من يشاء من عباده « والله أعلم حيث يجعل رسالته » في حين أن الحكمة تنال بالبحث والنظر . وفوق ذلك فالنبي موصوم من الخطأ والزلل ، بينما الحكيم يجوز عليه ذلك ويقع فيه ^(١) وأول شيء يستخرج من التشبيه السابق أن النبي عضو وعضو هام من أعضاء الجمعية الانسانية ، وأن النبوة مهمة ووظيفة من الوظائف الضرورية للمجتمع . وفي هذا ما هيا السبيل لشيخ الاسلام حسن فهمي أن يثيرها شعواء على السيد منهما إياه بأنه يزعم أن النبوة فن ، وأن النبي صانع . وقد أحدثت هذه التهمة شجة عنيفة في صحف الشرق المختلفة ، وترتب عليها أن أرغم السيد على مفارقة استامبول سنة ١٨٧١ ^(٢)

(التمت في العدد القادم) إبراهيم بيرمي مذكر

(١) Ibid., 1037—Browee The Tersian Bexolution, p.7

(٢) جورجي زيبان مشاهير الشرق ج ٢ ص ٥٤ — ٦٦

أدولف

لبنجان كونستان الفرنسي

عزرة الدكتور حسن زرق

أخذت غلبي لقلب الأشرار وأسنن لذي يترن قبا كحل ذابني عرا بلف
نفسه فهو كمن أقال الذكورية حين ومقدرة
حجته غطيرا الخطير من جمع الوجوه

وتنسى ١٠ وتظن من الكثرة الغشابة العكس في بعض
والسكان الكبيرة الأخرى

اليقينية غير أنه بالرغم من هذا الخلاف فمن المسلم أن الفيلسوف العربي والفيلسوف اليهودي متفقان على أن قوة الخيالة شرط أساسي في النبوة . وهنا تتساءل : هل هذا الاتفاق مجرد مصادفة أو أخذ اسبينوزا عن الفارابي بعض آرائه في النبوة ؟ إذا ما لاحظنا أن الأول درس في نهاية مؤلفات ابن ميمون أمكننا أن ندرك الصلة بين الأفكار اسپينوزية ونظرية النبوة الفارابية . ونحن نلاحظ من جهة أخرى أن مذهب السببية عند الفيلسوفين متحد ، وأنهما يقبلان فكرة التنبؤ بالنبي دون أن يكون لها أي أثر في مجرى القوانين الطبيعية . في مقدور ذوى النفوس الممتازة أن يقفوا أثناء اليقظة أو في حالة النوم على الأمور المستقبلية ويتكهنوا ببعض الحوادث التي ستحصل غداً أو بعد غد لا محالة ^(١) . وعلى كل حال فنحن لا نذهب مطلقاً إلى أن اسبينوزا أخذ عن الفارابي مباشرة ، لأنه ما كان يعرف العربية ؛ وبعبارة أخرى قد وقع في يده شيء مما ترجم من كتب الفارابي إلى اللاتينية . وكل الذي نعتقد أنه استقى بعض الأفكار العربية من مصدر ثابت هو كتاب « دلالة الحائرين » لابن ميمون ، وفي هذا الكتاب ، كما قدمنا قسطاً وافراً عن نظرية النبوة

ولنمد الآن مرة أخرى إلى الشرق وإلى السيد جمال الدين الأفغاني والأستاذ الامام بوجه خاص . فأما السيد فلم يخالف لنا مؤلفات كثيرة نستطيع أن نقرأ فيها كل أبحاثه ونظرياته ، وفيها وراء « رسالته في الرد على الدهريين » ، و« تاريخه للافتان » لا نكاد نجد له إلا مقالات متفرقة في « المروة الوثقى » وفي بعض الصحف والمجلات الموجودة في ذلك العهد ^(٢) . وكأنه اكتفى بأن يلقي أتباعه وتلاميذه تامله دون أن يودعها بطون الكتب شأن سقراط وطائفة من المصلحين . هذا إلى أن حياة الاضطراب والرحلة والانتقال التي قضاها ما كانت تسمح له بالهدوء الكافي للجمع والتأليف . ومهما يكن فقد أدلى في موضوع النبوة بآراء جديدة بأن تسرد هنا . وذلك أنه أثناء مقامه الأول في القسطنطينية سنة ١٨٧٠ دعى إلى إلقاء محاضرة في دار الفنون . ويظهر أنه شاء أن يكون موضوع المحاضرة متناسباً مع السكان الذي أقيمت

Brochard, Etudes, p. 335 (١)

Goldziher, Qyamâl al Dîn dans, Encyc. qe (٢)

l'Islam t. I. p. 1039